معسكر داخاو النشأة والاهداف (١٩٣٣ – ١٩٣٦م)

الباحثة. غسق ماجد حسين أ.د محمود شاكر حميد
جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم التاريخ
boozer.00@mail.ru

الملخص

يتناول البحث نشأة وتطور معسكر داخاو، أول معسكر اعتقال نازي، منذ تأسيسه في عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٦، بوصفه نموذجًا أوليًا لمعسكرات الاعتقال في ألمانيا النازية، تأسس معسكر داخاو بأمر من هاينريش هيملر في منطقة شبه نائية قرب مدينة ميونيخ، على أرض مصنع ذخيرة مهجور، وُجه المعسكر بداية إلى احتجاز المعارضين السياسيين، ولا سيما الشيوعيين، ثم توسع لاحقًا ليشمل فئات أخرى، وشهد المعسكر تطورًا إداريًا وهندسيًا كبيرًا، إذ تولى السجناء بناء وتوسيع المنشآت، بما في ذلك ثكنات ومرافق صحية، إلى جانب وحدات سكنية لحراس وحدات اس اس وتحول المعسكر إلى مشروع اقتصادي مهم ، كما تعددت فئات السجناء داخل المعسكر، وشملت: الشيوعيين والديمقراطيين والمعارضين السياسيين، والمجرمين والمحكومين السابقين وشهود يهوه والمثليين جنسياً والمنبوذين اجتماعيًا فضلاً عن رجال الدين الكاثوليك المعارضين للنازية ، اما اليهود فقد تعرضوا لمعاملة خاصة اتسمت بالقسوة والتمييز، وكان يتم تصنيفهم وفق رموز لونية مثبتة على ملابسهم.

الكلمات المفتاحية: (معسكر داخاو، ألمانيا النازية، القمع السياسي).

Dachau camp: origins and objectives (1933-1936 AD)

Researcher. Ghasq Majid Hussein, Prof.Dr. Mahmoud Shaker Hamid
Dhi Qar University / College of Arts / Department of History
boozer.00@mail.ru

Abstract

This research examines the origins and development of the Dachau camp, the first Nazi concentration camp, from its founding in 1933 to 1936. It served as a prototype for the concentration camps in Nazi Germany. Dachau camp was established by order of Heinrich Himmler in a semi-remote area near Munich, on the grounds of an abandoned ammunition factory. Initially, the camp was intended to detain political opponents, particularly communists, but later expanded to include other groups. The camp witnessed significant administrative and engineering development, as prisoners built and expanded facilities, including barracks and sanitary facilities, as well as housing units for SS guards. The camp transformed into a major economic project. The camp's prison population varied, including communists, democrats, political

opponents, criminals, former convicts, Jehovah's Witnesses, homosexuals, social outcasts, and Catholic clergy. Anti-Nazis, on the other hand, were subjected to special treatment characterized by cruelty and discrimination, and were classified according to color codes affixed to their clothing.
Keywords: (Dachau camp, Nazi Germany, political repression).

المقدمة

شهدت ألمانيا في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين تحولات سياسية جذرية أعقبت صعود الحزب القومي الاشتراكي (النازي) إلى السلطة، بقيادة أدولف هتلر، في كانون الثاني ١٩٣٣. وقد شكّل هذا التحول لحظة مفصلية في التاريخ الأوروبي الحديث، إذ سارعت القيادة النازية، منذ الأيام الأولى لاستلامها الحكم، إلى ترسيخ دعائم سلطتها عبر وسائل القمع المنظم، والتخلص من الخصوم السياسيين والاجتماعيين، تمهيدًا لإقامة ما أسموه بـ"الدولة القومية النقية عرقيًا". وكان من أبرز الأدوات التي استعان بها النظام النازي لتحقيق هذه الغايات إنشاء معسكرات الاعتقال، وفي مقدمتها معسكر داخاو، الذي يعد أول معسكر اعتقال في تاريخ ألمانيا النازية، وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلّط الضوء على مرحلة التأسيس الأولى لمعسكر داخاو، بين ١٩٣٣ و١٩٣٦، وهي المرحلة التي رسخت البنية الإدارية والتنظيمية والنفسية التي ستمتد لاحقًا إلى بقية المعسكرات. كما تبرز أهمية الموضوع في كشفه للأساليب التي اعتمدتها وحدات اس اس في التعامل مع فئات السجناء المتنوعة، وللتحولات التي طرأت على وظائف المعسكر ومكانته داخل النظام النازي.

اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي، مستندًا إلى الوثائق والسجلات والإحصاءات والشهادات المعاصرة لتلك الفترة، في تتبع نشأة المعسكر، وأهدافه، وتطور تركيبته الإدارية، وتصنيف السجناء داخله، وتحليل طبيعة العلاقات بين الحراس والنزلاء، ومدى انعكاس الأيديولوجية النازية على تفاصيل الحياة اليومية في داخاو، وبذلك، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة نقدية معمقة لفهم معسكر داخاو بوصفه نواة منظومة الاعتقال النازي، ومحطة مركزية في تاريخ القمع السياسي والاجتماعي في ألمانيا النازية، ولا سيما في سنوات التأسيس الأولى، التي مهّدت الطريق لما سيأتي لاحقًا من فصول أكثر دموية في التاريخ الإنساني المعاصر.

المبحث الأول : موقع المعسكر والتنظيم الاداري

يقع معسكر داخاو Dachau وسط مدينة صغيرة اسمها داخاو تقع على بعد خمسة عشر كيلومترًا من شمال غرب ميونيخ على الطريق إلى مدينة إنجولستادت Ingolstadt ، وبلغ عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة آنذاك ، وتقع هذه المدينة على نهر أمبر Amper (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١١)، اشتهرت مدينة داخاو (التي اشتق المعسكر منها اسمها) منذ زمن بعيد بأجوائها الفريدة، التي كانت محط انظار الفنانين، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر، توافد إليها العديد من الرسامين، مفتونين بالريف وضوء الأماكن المحيطة (Megargee, 2009, p. 527).

اكتسب بعض الفنانين ، مثل الرسام الألماني لودفيغ ديل Ludwig Dill، والرسام النمساوي أدولف هولزيل Adolf Hölzel ، شهرة طويلة، وبدأوا في داخاو بتأسيس مدرسة داخاو الفنية، وعلى ضفاف نهر أمبير، الذي يتدفق عند سفح التل الذي بنيت عليه المدينة، وجد هؤلاء الفنانون . رجالاً ونساءً . مواضيع احتضنت العديد من الأعمال الفنية، التي عُرض بعضها في معرض جيمالديجاليري Gemäldegalerie في داخاو (Zeller, 2015, p. 14).

فضلاً عن ذلك تعد مدينة داخاو مدينة ثقافية، اذ كانت داخاو عشية عام ١٩٣٣ مكاناً يتمتع بأسلوب حياة بافاري نموذجي (Megargee, 2009, p. 527)، اضافة الى انها مركزًا تجاريًا، وكانت المدينة تتمتع بموقع استراتيجي على الطريق الذي يربط ميونيخ بأوغسبورغ، وإلى الشمال الشرقي من المركز التاريخي، على الضفة اليسرى لنهر أمبير، تم بناء مصنع ذخيرة في عام ١٩١٦ لتزويد جنود الامبراطور وليم الثاني أثناء الحرب العالمية الأولى تم هجره بعد سقوط الامبراطور (Zeller, 2015, p. 15).

قرر هاينريش هيملر بعد وصول النازيون للسلطة في المانيا في كانون الثاني ١٩٣٣ انشاء معسكر في هذه المنطقة وتحديدا مدينة داخاو، فتم الاستيلاء على قطعة الأرض المهجورة والتي تبلغ مساحتها ٧٦٨,٩ دونم ، وكانت تتألف من مئات المباني، بما في ذلك عشرة ثكنات للعمال، ومطعم، وورش عمل عديدة، وتم تحويل ثكنات العمال الى ثكنات للمعتقلين (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ١٤)، وكانت المباني المجاورة خصصت ايضاً للمعتقلين على ان يتم ترميمها وتوسيعها

من قبل السجناء وبناء مجمع لوحدات اس اس في داخاو، ويمثل هذا المعسكر أكبر مشروع اقتصادي قامت به وحدات اس اس في مدة ما قبل الحرب العالمية الثانية (Pitzer, 2017, p. 162).

وإلى جانب الثكنات وأماكن الإقامة المتنوعة لوحدات اس اس، قاموا السجناء ببناء المطابخ والمستوصفات والمخازن ومكتبة ومرائب بها مستودعات بنزين ومدرسة لركوب الخيل بها إسطبلات وقاعة رياضية بها ملعب تنس وحديقة كبيرة وسط المعسكر، ومسبح في الهواء الطلق، وتم بناء محطات إضافية لمعسكرات السجناء ووحدات اس اس، كان هناك سكن خاص للجنود في داخاو للتدريب العسكري (Wachsmann, 2015 , p. 9).

اشتمل معسكر الاعتقال في داخاو على معدات قديمة وتركيبات مخربة ومهدمة لمصنع إنتاج الذخيرة في الحرب العالمية الأولى (Neurath, 2005 , p. 44)، رغم تصفية هذا المصنع بعد الحرب ونقل معداته طبقا لبنود معاهدة فرساي التي جرّدت ألمانيا من الاف الاميال من الأراضي والتخلي عنِ المكاسبِ التي حققتها في السابق (سليم، ٢٠٠٢ ، صفحة ٣٥٧)، اصدر هاينريش هيملر في ٢١ آذار عام ١٩٣٣ بياناً في الصحف المحلية جاء فيه أنه يمكن لهذا المعسكر أن يضم خمسة آلاف معتقل، وفى ٢٤ آذار من نفس العام افتتح المعسكر رسمياً، ونشرت الصحافة المحلية في داخاو خبراً مفاده أن هذا المعسكر قام باستقبال أول فوج من السجناء ويبلغ عددهم ستين سجينًا (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١١).

احيطت المنطقة بأكملها بمزيد من الأسلاك الشائكة وجدار طويل بأبراج حراسة، وقدر أحد السجناء أن التجول حول مجمع المعسكر بالكامل كان يستغرق ساعتين، ومع ذلك فإن التغيير الأكثر أهمية في داخاو لم يؤثر على مظهره، بل على طاقمه، حيث تحول داخاو إلى معسكر لوحدات اس اس ، وكان الحراس الأوائل قد جاءوا من شرطة الولاية النظامية، لكن هيملر اعتبر هذا بمثابة تدبير قصير الأجل فقط، وفي أواخر آذار ١٩٣٣، أُرسلت مفرزة صغيرة من وحدات اس اس إلى داخاو، ونُشرت رسميًا كشرطة مساعدة، وفي الثاني من نيسان ١٩٣٣، أمر هيملر بوضع داخاو تحت سيطرة وحدات اس اس بالكامل (Wachsmann, 2015 , p. 43).

اعلن هيملر خلال المؤتمر الصحفي الذي عقد في اليوم الذي افتتح فيه المعسكر وغطته الكثير من الصحف المحلية، بأن أول معسكر اعتقال تم إنشاؤه في محيط داخاو " **سوف يستوعب هذا المعسكر ما يصل إلى خمسة آلاف شخص، وسوف يُعتَقَل هناك جميع المسؤولين الشيوعيين . . . لقد اتخذنا هذه الخطوات دون أي نيــة خبيثة، مقتنعين بأننا نعمل من أجل السلام الوطني ووفقاً لرغبات الشعب. . . وفي قلب مهد الاشتراكيــة الوطنيــة، افتُتِح أول مركز اعتقال** "، وباعتباره أقدم معسكر في ألمانيا، فقد أعطى اسمه للمعسكرات في جميع أنحاء البلاد، اذ أنه عندما كان يتم إرسال شخص ما إلى معسكر، فإن الألمان عادة ما يقولون: "**إنه في داخاو**" (Zeller, 2015, p. 16).

جديراً بالذكر ان وحدات اس اس استغلت عمالة سجناء معسكر داخاو بالمجان (Wachsmann, 2015 , p. 9) وكان هؤلاء السجناء من الألمان المعارضين للنظام النازي، وقبل نشوب الحرب العالميــة الثانيــة تم تخصيص خمسة ثكنات لإيواء المعتقلين السياسيين وثكنتين لأعداء المجتمع وثكنة واحدة للمهاجرين، أما السجناء المرضى فتم إيداعهم في ثكنات خاصة للاستشفاء، وكان المكان المخصص لإيواء السجناء المرضى معزولاً عن بقيــة المجمع عن طريق الأسلاك الشائكة، ويتولى حراسته حراس مسلحين من وحدات اس اس فوق أبراج المعسكر الخمسة (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١٢).

وكان العاملون الأدنى مرتبة فى المعسكر يشغلون نحو خمسة عشر ثكنة خارج مجمع السجناء ومنها بلوك مخصص لطهي الطعام، وكان السجناء يسيرون على أقدامهم للوصول إلى المطبخ لاستلام حصتهم من الطعام وأكله في نفس المكان، ولكن بحلول عام ١٩٣٦ بدأ نقل الطعام من المطبخ إلى المعسكر في حاويات، وكانت الشعارات تملأ جدران الثكنات مثل "**المهم هو العمل وليس الكلام**" ، و "**أثبتوا إحساسكم بالواجب وكونوا رفاقا** " و "**حرب الإنسان ضد نفسه هي أصعب الحروب جميعا وانتصار الإنسان على ذاته هو أعظم الانتصارات**" (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١٣).

سرعان ما تحول معسكر داخاو إلى مركز للاحتجاز غير القانوني في بافاريا (Pitzer, 2017, p. 163) فقد وصل السجناء إلى داخاو من جميع أنحاء الولايـة، بمجرد أن تم اعتماد قانون الاحتجاز الوقائي من قبل الشرطة السياسيـة البافاريـة، وفي غضون بضعة أشهر فقط، ارتفع عدد السجناء من ١٥١ (٣١ آذار ١٩٣٣) إلى ٢٠٣٦ (٣٠ حزيران ١٩٣٣)، وبحلول ذلك الوقت، تغير شكل المعسكر أيضًا، اذ عمل السجناء باستمرار ليكون مجمع أكبر، واحتوى مجمع معسكر داخاو الجديد، المحاط بالأسلاك الشائكة وأبراج الحراسة، على عشر ثكنات من طابق واحد مصنوعة من الطوب والخرسانة (Wachsmann, 2015 , p. 42).

وقع الاختيار على هيلمار واكرله Hilmar Wäckerle ليشغل منصب القائد الأول لمعسكر داخاو، وتم تعيينه لهذا المنصب باعتباره أعلى رتبة من بين جميع زملائه من وحدات اس اس في المعسكر (Blatman, 2011, p. 22)، واهتم واكرله بشكل وثيق بجميع مسؤولي الحزب الشيوعي الألماني الذين تم اعتقالهم في المعسكر، وبعد حادثة هروب احد السجناء، تم عزله من منصبه في حزيران ١٩٣٣ (Allen, 2002, p. 37).

ادرك هيملر أن رجال وحدات اس اس التابعة له سوف يحكمون معسكر داخاو بطريقة مختلفة عن طريقة حكم شرطة الولايـة (Pitzer, 2017, p. 163)، وفي خطاب لهيلمار واكرله صور السجناء فيه على أنهم وحوش خططوا لذبح النازيين ، وكتب الجندي هانز شتاينبرينر Hans Steinbrenner ، الذي كان من بين الرجال المجتمعين لسماع خطاب هيلمار واكرله ، أن الاخير أنهى خطابه بتحريض صريح على القتل: "**إذا حاول أحد السجناء الهرب، فعليك أن تطلق النار وأتمنى ألا تخطئ ، وكلما مات عدد أكبر من هؤلاء، كان ذلك أفضل**"، كانت هذه الكلمات لا تزال ترن في آذان رجال وحدات اس اس عندما استولوا على المعسكر في ١١ نيسان ١٩٣٣(Wachsmann, 2015 , p. 43) .

تولى ثيودور ايكه Theodor Eicke قيادة معسكر داخاو في تموز ١٩٣٣ إلى تموز ١٩٣٤، بعد ان اصبح المفتش العام لمعسكرات الاعتقال بناء على طلب هيملر (Jaskot, 2000, pp. 13–14)، وكان هذا الرجل الضخم ذو الملامح الحادة، الذي أطلق عليه رجاله لقب

"**بابا آيكه**"، وتولى الاخير إعادة تنظيم فيلق الحرس في المعسكر، وكان معجباً بشكل كبير بحراسة وحدات اس اس التي اكتشفها في داخاو عام ١٩٣٣، وكانت تتألف من أفراد ذوي سجلات سيئة، وكانت بمثابة مستنقع للفساد، واعتقد أنه ينبغي تحويلها إلى وحدة النخبة (Zeller, 2015, p. 45).

وبحسب آيكه، فإن أفراد وحدات اس اس المكلفين بحراسة معسكرات الاعتقال هم ليسوا افراداً عاديين، بل هم مقاتلين ولهم مهام كبيرة وهي القضاء على أعداء الرايخ (Megargee, 2009, p. 528) ولذلك فقد أعاد إصلاح فرقة الحراسة القديمة وفرض على الرجال تكويناً إيديولوجياً صارماً وتدريباً بدنياً حتى يتمكنوا من تشكيل وحدة نخبوية مستقلة، منفصلة عن الفروع الرئيسية لوحدات اس اس ، وشكل ايكه فرقة الحراسة الخاصة، التي كانت مخصصة حصرياً لحراسة معسكرات الاعتقال، وتم تشكيل ثلاثة أفواج وهي : أوبربايرن Oberbayern، وبراندنبورغ Brandenburg، وتورينجن Thüringen، وكلفت على التوالي بحراسة معسكرات داخاو، وبوخنفالد، وساكسنهاوزن Sachsenhausen فيما بعد (Zeller, 2015, p. 45).

انضم الى هذه الوحدات بعض كبار القادة المستقبليين لمؤسسة الإبادة النازية، فقد خدم رودولف هوس Rudolf Hôss، الذي اصبح فيما بعد القائد لمعسكر أوشفيتز، الى جانب ايكه في داخاو في عام ١٩٣٤، الذي حرص على تفقد المبنى بشكل متكرر، برفقة أعلى الشخصيات رتبة في النظام النازي امثال هيملر، قسمت الثكنات الى أجزاء اصغر، فقد احتوت كل ثكنة على خمس غرف بها أسرّة بطابقين، كل منها مصمم لاستيعاب أربعة وخمسين سجينًا (ملحق بكل غرفة حمام صغير به مغاسل)، كما كان داخل مجمع السجناء المستوصف وغرفة الغسيل وساحة النداء، ويقع خارج المعسكر مباشرة ميدان الرماية الكبير التابع لوحدات اس اس . وهو تذكير يومي بسيطرة الحراس . والعديد من المباني الأخرى المخصصة للسجناء، وخلف هذه الثكنات كانت توجد بعض المباني الإدارية وورش العمل ومقرات الحراس (Wachsmann, 2015 , p. 42).

تولت قوات وحدات اس اس مهام عديدة، منها حراسة المعسكر ضد التهديدات الخارجية، وإدارة أبراج الحراسة ومدافعها الرشاشة، ومرافقة السجناء أثناء ذهابهم وإيابهم إلى مواقع عملهم، ومارقبتهم أثناء النهار، وقد خضعوا للتدريب على الأسلحة تحت إشراف شرطة ولاية بافاريا، وكانوا يقضون عادة أسبوعاً واحداً في الشهر في حراسة متناوبة ووقتهم المتبقي في التدريبات العسكرية والمناورات المتوافقة مع السياسة الخارجية العدوانية للرايخ الثالث في مجمع التدريب التابع لوحدات اس اس المجاور للمعسكر (Jaskot, 2000, p. 14).

تطور عمل وحدات اس اس في المعسكر تحت قيادة ثيودور آيكه الذي بدا عازماً على اظهار نفسه امام هيملر، بأنه القائد النموذجي لمعسكر داخاو ، لا سيما وانه تمتع بقوة موهبته التنظيمية التي لا شك فيها، ومن الممارسات التي اعتاد آيكه على عملها في المعسكر هي تجواله الدائم بمفرده في المعسكر، وطرحه الأسئلة وتدوين الملاحظات، وعمل ليل نهار في إعادة تنظيم المعسكر (Blatman, 2011, p. 22) .

اعتاد ايكه على ان يكون أول من يتوجه إلى العمل في الصباح، وفي عهده تم وضع لوائح جديدة للمعسكر، وأصدر التوجيهات والأوامر بشأن كل الأمور ، اما معاملته الجيدة مع الجنود جعله محبوباً عند افراد وحدات اس اس ، ولا ينادونه الا باسم "بابا إيكه" وهو المصطلح الذي صاغه الجنود في ذلك الوقت (Ripley, 2004, p. 109).

وعند وقوع الخطأ يصبح صارماً مع الجنود، وابدى كراهيته بشكل دائم للمعتقلين، وتحدث كثيرا عن تدميرهم وإبادتهم، وغرس هذه الكراهية في نفوس افراد وحدات اس اس من خلال الخطب والمحادثات، وكان من أشد المناصرين للنازية، ففي الرسالة التي بعثها إلى هيملر عام ١٩٣٦، ادعى آيكه أنه عند تعيينه قائداً لداخاو ورث "**فرقة حراسة فاسدة**" ، وادعى أن حراس داخاو يعيشون في "**مباني مصانع متهالكة**"، وكانوا يعانون من "**الفقر والمصاعب**" (Megargee, 2009, p. 184).

توسعت وحدات حراسة المعسكر بشكل سريع ، اذ انه بحلول تشرين الأول ١٩٣٣ كان هناك ما يقرب من ٤٠٠ حارس في داخاو، وفي حزيران ١٩٣٥ ارتفع العدد الى ٧٦٤ حارس، وأكثر

من ١٠٠٠ بحلول بداية عام ١٩٣٦ ، ومن الناحية العددية، ومن الأمور التي يجب التأكيد عليها هي أن وحدات اس اس كانت تشكيلاً تطوعياً، أي الاستعداد للتضحية بدون أي مقابل (Dillon, 2015 , p. 53).

وفي الجدول التالي يوضح الفئات العاملة بوحدات اس اس في معسكر داخاو بين عامي ١٩٣٣ – ١٩٣٦ (Dillon, 2015 , p. 95).

الفئة	نسبتهم في عام ١٩٣٣	نسبتهم في عام ١٩٣٤	نسبتهم في عام ١٩٣٥	نسبتهم في عام ١٩٣٦
المنتمين للحزب النازي قبل تولي هتلر السلطة	٣٦ %	٣٣ %	٢٥ %	١٨ %
المنتمين للحزب النازي بعد تولي هتلر السلطة	١٦ %	٨ %	١٤ %	٦٤ %
المقاتلون القدامى المشاركين في الحرب العالمية الاولى	٤٨ %	٥٩%	٦١ %	١٨ %
النسبة الاجمالية	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠ %	١٠٠ %

أضاف مبدأ التطوع صدى إضافيًا للمثل العسكرية النازية، كما أنها تماشت مع مفاهيم إنكار الذات في قوات رأس الموت التي عانت من نقص الموارد لدى القائد آيكه، وفي المقابل انتقد الاخير بشدة الحراس الذين يبدو أنهم مالوا إلى التقدم بطلبات للانضمام إلى الشرطة الألمانية من أجل الحصول على رواتب ومعاشات أفضل هناك ، وقارن آيكه هذه الأمور المادية بالتضحيات التي لا تعد ولا تحصى التي قدمها المقاتلون القدامى عن طيب خاطر في وقت النضال، وادعى أنه لم يكلف نفسه عناء التحقق مما سيحصل عليه عند التقاعد ورأى أن "**الشباب الذين يتمتعون بامتياز كبير بالقتال من أجل بلادهم تحت علم الفوهرر لا يتعين عليهم حتى التفكير في مثل هذا السؤال الهامشي**" (Dillon, 2015 , p. 55).

سعى آيكه بشكل متزايد إلى استقطاب أفراد يتمتعون بخبرة وتدريب عسكريين في كانون الأول ١٩٣٥ (Allen, 2002, p. 37)، ولا سيما أولئك الذين أكملوا الخدمة الإلزامية مع الفيرماخت Wehrmacht ، وأجبر النازيون بعد زيادة عدد المعسكرات وظهور الحاجة الى مزيد من المتطوعين، وهذا يعكس حقيقة انه تم التخلي عن التزام وحدات اس اس بتجنيد النخبة العرقية من الشباب الألماني بحلول عام ١٩٣٦، وكان معظم هؤلاء الذين تطوعوا للعمل في معسكر داخاو من الناشطين النازيين العاطلين عن العمل في بافاريا (Singer, 2010, p. 537)، وقد ساهم هذا الاختيار الذاتي في تشكيل أنماط السلطة والامتثال للتوجيهات، ونهجها في الانضباط والاحتفاظ بالموظفين، وقد بذل آيكه الكثير من الجهد لترسيخ المعايير السلوكية النازية لحراس معسكر الاعتقال الجدد في عام ١٩٣٦ (Blatman, 2011, p. 22).

وقع على عاتق افراد الحراسة في المعسكر مهام صعبة للغاية بناءاً على أوامر صارمة، الامر الذي دفع بعض الحراس ترك العمل في داخاو لا سيما في عام ١٩٣٦، لأسباب مثل التدهور البدني، أو الافتقار إلى الاهتمام، أو الغياب غير المبرر عن الخدمة، ففي شباط ١٩٣٦، وفقًا للإحصاءات السنوية لوحدات اس اس، تم إطلاق سراح ٧٩٦٠ رجلاً من وحدات اس اس، والبعض منهم قرر الاستقالة بشكل اختياري، لا سيما من أبناء المزارعين على أساس رغبتهم المفاجئة في العودة ببعمل في مزرعة عائلاتهم (Dillon, 2015 , p. 64).

وفي خطاب ألقاه في داخاو، في آذار ١٩٣٦ دعا ايكه "**الضعفاء**" إلى الانسحاب من عملهم في اقرب وقت ممكن، وأضاف بأنه يحق للأفراد التذمر بشأن الأوامر بشرط أن ينفذوها بإخلاص وعلى الفور، وما إذا كانت القيادة المعينة "مناسبة" أو "عسكرية" فهذا ليس من شأن المتلقي أن يقيمه و"**من لا يطيع الأوامر بسعادة وطواعية ليس رجلاً من وحدات اس اس، بل هو رجل غير منضبط، ولا يمكن أن يكون هناك متعة أعظم بالنسبة لنا من التخلص منه**"، وهذا لا يعني أن العملية كانت سلسة وغير صعبة كما أشار آيكه لأن بعض الأفراد في بادىء الامر لم يمتثلوا لأنهم خافوا من الانتقام بعد ذلك (Dillon, 2015 , p. 64).

اشارت الإحصاءات السنوية لوحدات اس اس إلى أن الاسباب الأكثر شيوعاً لفصل بعض الافراد من الخدمة في داخاو تمثلت بالتحدث مع السجناء، والتأخر في تنفيذ الأوامر، وتناول المشروبات الكحولية ، والحضور متأخراً إلى الدوام، وبعيداً عن هذا، كانت العقوبات الجوهرية الوحيدة التي فرضتها وحدات اس اس على الحراس هي انزال الرتبة ، مع العقوبة المالية ، وكان هناك نوعان من الفصل القسري من الخدمة، الأول هو الاستبعاد المؤقت أو الدائم، مع إلغاء جميع الجوائز والأوسمة وكان يُطبق على المخالفات التأديبية الخطيرة والتمرد، ولا سيما الضرر الفادح الذي يلحق بسمعة وحدات اس اس، اما الثاني، فكان من صلاحيات هيملر نفسه فقط، وهو الطرد الدائم من الخدمة اذا اقترف المتهم احدى تلك الجرائم وهي : السرقة والقتل والاختلاس (Allen, 2002, pp. 38-39).

تأسيساً على ما تقدم، يتضح أن معسكرات الاعتقال النازية التي تم انشاؤها داخل ألمانيا بعد وقت قصير من تولي النازيين الحكم ، كان بهدف اعتقال معارضي النظام لكسر شوكتهم وفي العديد من الحالات لتصفيتهم جسديا، ليكون معسكر داخاو هو المعقل الرئيس لاحتجاز المعارضين، والذي تم اختيار موقعه بدقة من قبل هاينرش هيملر، في منطقة شبه نائية بعيدة عن مراكز المدن، وبالتالي فقد كان اختياره موفقاً، وقد ادرك هيملر أهمية موقع معسكر داخاو من اجل اسكات وترهيب المعارضين للنظام النازي، ليكون بذلك اول معسكر نازي يتم افتتاحه، وشكل تأسيسه بداية لحقبة جديدة في تاريخ المانيا المعاصر، وبداية لما عرف تاريخياً بمعسكرات الاعتقال النازية.

المبحث الثاني : تصنيف السجناء واعدادهم

كان اول من زج بهم في معسكر داخاو خلال السنوات الثلاث الاولى من تأسيسه، هم المعارضين السياسيين، الشيوعيين والديمقراطيين، اي ان الاهداف السياسية كانت هي المهيمنة لهذا المعسكر، فكانت ثكنات المعسكر العشر مكتظة بالسياسيين، كل ثكنة مكونة من خمس غرف وكل غرفة تضم خمسة وأربعين سجينًا، فضلاً عن ذلك ضمت ثكنات المعسكر أصناف أخرى مثل شهود يهوه، والمثليون جنسياً، وأولئك الذين أطلق عليهم النازيون اسم "**الطفيليات**" و"**المعادون**

للمجتمع"، وشيئًا فشيئًا، وصل المجرمون أيضًا، الذين تنافسوا مع الشيوعيين على أكثر السجناء تواجداً في المعسكر (Zeller, 2015, p. 16).

تعرض السجناء للضرب والتنمر، وارغموا على إعادة بناء المعسكر (Government, 1945, p. 5)، واختفت الملابس المدنيـة في السنوات الأولى من عمل المعسكر واستُبدلت بالزي الرسمي المخطط المميز، وتم تحديد كل فئة من خلال مثلث من القماش الملون ، يشير إلى الأسفل، والذي تم خياطته على الزي الرسمي: الأحمر للسجناء السياسيين، والأخضر للمجرمين، والوردي للمثليين جنسياً، والأسود للطفيليات أو "المعادون للمجتمع" (Zeller, 2015, p. 16).

فرضت عقوبات مختلفة وعديدة على السجناء، فقد عمدت وحدات اس اس على قص شعر السجناء منذ وقت مبكر في داخاو ، لأسباب صحيـة وأمنيـة ، ولكن أيضًا كوسيلة لإذلالهم وتعزيز الفرق في المظهر بينهم وبين الحراس، وارتدى سجناء داخاو الزي الرسمي، الذي أنتج في المعسكر أو ملابس عتيقة من شرطة وجيش عهد فايمار، مما جعل حركاتهم متعبة ومشيتهم محرجة، وكان هؤلاء السجناء بحاجة إلى تعلم الحكمة الأساسيـة والمكتسبة بشق الأنفس للبقاء على قيد الحياة في داخاو: الا وهي عدم التميز عن الاخرين (Caplan & Wachsmann , 2009, pp. 29-31).

ان جميع سجناء داخاو، وضعوا أنفسهم خارج المجتمع الوطني، من وجهة نظر وحدات اس اس، وكما لاحظ هيملر بأنه لم يسجن أي منهم دون سبب ، ووصفهم بإنهم حثالة البشريـة، وانهم "**مجموعة من الحثالة عديمي القيمة عنصريًا**"، الامر الذي أدى الى تشديد الأوامر الصادرة من قائد المعسكر آيكه لممارسة طقوس الإذلال المرتجلة، والتي سرعان ما أصبحت أسلوباً إدارياً مهماً في حد ذاته، وتذكير حارس داخاو بشكل دائم في استخدام بندقيته في حالة ارتكاب السجين أي مخالفة حتى اذا اضطر الحارس الى إطلاق النار عليهم (Caplan & Wachsmann , 2009, pp. 39-41).

عاش السجناء تجارب عديدة في المعسكر وفق مجموعة من العوامل المترابطة، وشملت هذه العوامل الاتجاه الإيديولوجي السائد للنظام النازي، وحجم وتصنيف السجناء، فعلى المستوى

الفردي، كانت مدة السجن، والقدرة على التكيف مع البيئة المرضيـة، وأهمها الحظ في التعامل مع الحراس والزملاء السجناء، هي العوامل الأكثر حسماً ، وتأثر المعسكر بالأحداث التي وقعت خارج الأسلاك الشائكة ، واللافت للنظر ان فئات السجناء المختلفة كالسجناء السياسيين والمنبوذين اجتماعياً، والمثليين جنسياً، واليهود، وشهود يهوه، كلهم مصنفون وفق تصنيف معقد، وقد أدى هذا التنوع إلى تعقيد عمليـة الانضباط، والسلطة في المعسكر (Blatman, 2011, p. 23).

اللافت للنظر ان من بين فئات السجناء الذين اعتلقوا في معسكر داخاو هم المعارضين من الكاثوليك الألمان، وهم أقليـة كبيرة من السكان، والذين عارضوا انضمام الكاثوليك إلى الحزب العمال القومي الاشتراكي (النازي) طالما أن الأخير يلتزم ببرنامج ديني وثقافي يتعارض مع العقيدة الكاثوليكيـة، وعلى هذا الاساس خشيت الكنيسة من تهديد الحزب النازي على أنشطة الشباب والنوادي والمنظمات المهنيـة التي كانت مسؤولة عنها ، وفي هذا الصدد توجس بابا الفاتيكان البابا بيوس الحادي عشر ، خطر النازيين ، الامر الذي انعكس على علاقة المؤمنين الكاثوليك في المانيا بالحزب النازي (Zeller, 2015, p. 16).

بدأت الحرب النازيـة على الكنيسة الكاثوليكيـة منذ بدايـة الحكم النازي ، فقد ندد هتلر وهو الكاثوليكي اسما ، بالكاثوليكيـة السياسيـة في كتابه (كفاحي) ، وهاجم كلا من الكنيستين المسيحيتين (الكاثوليكيـة والبروتيستانتيـة) ، لفشلهم في ادراك المشكلة العنصريـة ، إلا انه حذر في كتابه بأن على الحزب السياسي ان لا يتغافل مطلقاً عن الحقيقة الواقعة وهي انه في جميع التجارب التاريخيـة السابقة ، لم يستطع أي حزب سياسي مجرد ان ينجح في تحقيق اصلاح ديني ، وقد نصت المادة الرابعة والعشرون من برنامج الحزب على الحريـة لجميع الطوائف الدينيـة في الدولة طالما انها لا تشكل خطراً "**على المشاعر الاخلاقيـة للشعب الألماني**" (شيرر، ١٩٦٦ ، الصفحات ٤٢٨-٤٢٩).

عقدت الحكومة النازيـة في تموز ١٩٣٣ اتفاقاً مع الفاتيكان ضمنت فيه حريـة الديانة الكاثوليكيـة، وحق الكنيسة في ان واحد ، على ان تتولى بنفسها تنظيم شؤونها ، وقد وضعت هذه الاتفاقيـة إطاراً للعلاقات بين الدولة الألمانيـة والكنيسة، مع ضمانات بشرط أن تتخلى الكنيسة عن

كل الأنشطة السياسية ، ولم يكد يجف الحبر الذي وقع به الاتفاق مع فون بابن ممثلاً لألمانيا والمونسنيور باشيلي وزير خارجية الفاتيكان الذي غدا فيما بعد البابا بيوس الثاني عشر ، حتى كانت الحكومة النازية قد خرقت الاتفاق ، عندما اعتقلت المئات منهم في معسكر داخاو في العام نفسه (شيرر، ١٩٦٦ ، صفحة ٤٢٩).

اما الفئة الثانية من السجناء الأوائل في معسكر داخاو هم الشيوعيون ، الذين كانت لهم قوة سياسية وتنظيمية كبيرة في المانيا ، لا سيما بعد اندلاع الثورة الألمانية في عام ١٩١٩ ، وعشية افتتاح المعسكر امر القائد هيلمار واكرله بأعتقال سبعين شيوعياً في ولاية بافاريا ، وهم الشيوعيين المتهمين بالتخطيط للقيام بثورة مضادة ضد النظام النازي ، واطلق الشيوعيون على معسكر الاعتقال داخاو في بادىء الامر أسم "باستيل النازية"، تشبهاً بسجن الباستيل الذي اشتهر ابان الثورة الفرنسية ، وعلق السجناء بعض الأمل على انتفاضة شيوعية برعاية الاتحاد السوفييتي ، وعلى هذا الأساس تم تنفيذ خطط دفاع طارئة للهجمات الشيوعية من الغابات التي عززت بتوزيع أفواج الحماية من افراد وحدات اس اس (Dillon, 2015 , p. 46).

ومن ابرز السجناء الشيوعيين الذين اعتقلوا في داخاو هو النائب في الرايخستاغ الألماني والمسؤول الكبير في الحزب الشيوعي هانز بيملر Hans Beimler ، الذي نجح في الهرب من المعسكر في ٩ أيار ١٩٣٣ ، والذي نجا فيه من الموت المحقق، فقد تمكن من فك اللوح الخشبي فوق نافذة زنزانته والزحف من خلاله، وعمل فجوة في الأسلاك الشائكة المكهربة، والخروج باستخدام العازل الذي وفره اللوح الخشبي ثم تسلل دون أن يكتشفه أحد إلى الجدار المحيط بالمعسكر الذي يبلغ ارتفاعه مترين وتسلقه دون أن يلاحظه حراس وحدات اس اس (Pitzer, 2017, p. 176).

كان هروب بيملر جريئاً بلا شك ، ولكن ساعده إلى حد كبير حقيقة مفادها أن المنشآت الدفاعية للمعسكر، وحراس المحيط على ما يبدو، كانوا موجهين بشكل أساسي نحو الخارج ، ويركزون على الردع بدلاً من الاحتواء، واحتل التعرف المبكر على الهجوم الشيوعي المفترض على المعسكر المرتبة الأولى في قائمة مسؤوليات الحراس ، ومع ذلك تمت معاقبة وحدات اس

اس في داخاو عندما نشر بيملر، من مكان آمن نسبياً في الاتحاد السوفييتي بعد هروبه من المانيا ، روايـة دوليـة عن تجربته الكابوسيـة بعنوان "**أربعة أسابيع في أيدي كلاب الجحيم التابعة لهتلر**" Four Weeks in the Hands of Hitler's Hell Hounds ، وتم تصور كتاب "أربعة أسابيع" في الواقع باعتباره دعايـة شيوعيـة، وصور بشكل كامل الحياة اليوميـة في معسكر داخاو والتعذيب الممنهج الذي تعرض له المعتقلين وبالأخص اليهود والشيوعيين (Wachsmann, 2015 , p. 22).

اضطر هيملر إلى اقالة هيلمار واكرله من منصبه كقائد للمعسكر بعد هروب بيملر في نهايـة شهر حزيران ١٩٣٣ ، وفي عهد خليفته ثيودور إيكه تعرض سجناء الحزب الشيوعي الألماني للتنمر والضرب لمعرفة مكان بيملر، وأين تم إخفاء الأسلحة ، في الوقت الذي تعرضت فيه المنظمات اليساريـة الالمانيـة لهزيمة وحشيـة على يد المنظمات النازيـة (Wachsmann, 2015 , p. 23).

شكّل المجرمون الشريحة الثالثة من المسجونين ، وكانت وحدات اس اس تميز بين نوعين من سجناء هذه الشريحة يطلق على النوع الأول اختصارا اسم .P.S.V والنوع الثاني اسم .B.V ورغم أن هذين النوعين كانا يلبسان نفس الشارة المميزة فقد كان هناك فرق بينهما، وزج بالمجرمين المعروفين اختصاراً باسم .P.S.V في معسكرات الاعتقال كإجراء احترازي ودراً لخطرهم على المجتمع ، وبرر النازيون حبسهم بأن هذه العناصر الإجراميـة قد تستغل تدهور الأوضاع السياسيـة والاقتصاديـة بسبب الغارات كى تعيث في البلاد فسادا ، أما المجموعة الثانيـة المعروفة اختصاراً باسم B.V. فكانوا من السجناء الذين رفضت السلطات النازيـة إطلاق سراحهم رغم أنهم قضوا فترات عقوبتهم في السجن واتعظوا بما سبق لهم اقترافه من جرائم (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ٢٠).

أما الشريحة الرابعة من المساجين فكانت تتكون أساساً من المعادين للمجتمع ، وهم مجموعة من الشحاذين والصعاليك ، وفي كثير من الأحيان كانت تهمة العداء للمجتمع تلقى جزافًا وتلصق ببعض الناس زوراً وبهتانا ، وإلى جانب الشرائح الثلاث الآنفة الذكر فرض النازيون عام ١٩٣٣

الحظر على الطائفة الدينيـة المارمة المعروفة باسم شهود يهوا ، وسبب ذلك هو رفض هذه الطائفة الالتحاق بالخدمة العسكريـة ، الأمر الذي دفع النازيين إلى اعتقال أفرادها ، ورغم أنهم كانوا فئة صغيرة العدد فإن النظام النازي ضاق بهم ذرعاً ، الامر الذي دفع السلطات النازيـة للزج بهم في معسكر داخاو (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ٢٠).

كانت مجموعة السجناء السياسيين في داخاو في أكثر حالاتها تنوعًا في عام ١٩٣٣، تتبع طبيعة المنهج النازي في تحديد اعدائه، وبينما كان السجناء الأوائل من الشيوعيين بشكل ساحق، بدأ أعضاء حزب العمال الاشتراكي في الوصول بأعداد أكبر بعد حملة القمع على النقابات العماليـة في آيار ١٩٣٤ وحظر نشاط الحزب في حزيران من العام نفسه ، كما تعرضت الكاثوليكيـة السياسيـة أيضًا للضغوط منذ أواخر عام ١٩٣٤ ، ليتم اعتقال أعضاء حزب الوسط الكاثوليكي Catholic Centre Party وزجهم في معسكر داخاو منذ ذلك الوقت (Dillon, 2015 , p. 168).

وفي البلاد الواقعة تحت الاحتلال النازى طاردت السلطات النازيـة المهاجرين الذين سبق أن فروا إلى هذه البلاد هرباً من النظام النازي ، كما طارد النازيون الألمان الذين حاربوا في صفوف الجمهوريين في الحرب الأهليـة الإسبانيـة Spanish Civil War وزجوا بالكثيرين منهم في معسكر داخاو ، ولابد من الإشارة الى ان الألمان والأجانب تمت معاملتهم بطريقة أفضل من المعاملة التي لقيها اليهود والغجر وشواذ الجنس وشهود يهوا (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ٢١).

وفي الجدول التالي يوضح عدد السجناء في معسكر داخاو بين عامي ١٩٣٣ – ١٩٣٦ (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٣).

السنة	عدد السجناء
١٩٣٣	**٤٨٢١**
١٩٣٤	**٦٨١١**
١٩٣٥	**٨٩٢٢**
١٩٣٦	**١١٢٤٥**
المجموع	**٣١٧٩٩**

بحلول نهاية عام ١٩٣٣، كان عدد السجناء المسجلين في معسكر داخاو قد بلغ ٤٨٢١ سجيناً، ووصل نحو ١٨٦٠ سجيناً منهم إلى معسكر داخاو في شهري نيسان وآيار ، ومع ذلك، كانت عمليات الإفراج متكررة في السنوات الأولى من الحكم النازي، وكان متوسط عدد السجناء في المعسكر في أي وقت يتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ سجين، والواقع أن عدد السجناء في معسكر داخاو ظل ثابتاً نسبياً حتى عام ١٩٣٦، وخلال هذه المدة أيضاً، كانت عمليات الإفراج مستمرة وشائعة في داخاو ، اذ كان عدد السجناء المفرج عنهم يصل الى ثلثي عدد السجناء الإجمالي (Dillon, 2015 , p. 163).

من الضروري الإشارة الى انه في تلك المدة بين عامي ١٩٣٣ – ١٩٣٦ ، طالت عملية الافراج عن المعتقلين جميع الشرائح والفئات بأستثناء الشيوعيين ، لذلك اصبحوا بعد سنوات قليلة يتمتعون بخبرة في المعسكر تعود إلى بدايات تأسيس معسكر داخاو، وقد قدموا مساهمة كبيرة في أدب مذكرات السجناء، وتشير أرقام المعسكر إلى أن معظم السجناء في تلك السنوات تم إطلاق سراحهم بعد أسابيع أو أشهر، وبالتالي لم يكن هناك اكتظاظ في ثكنات السجناء ، وبالتالي لم يكن هناك إرهاق لأفراد وحدات اس اس (Singer, 2010, pp. 536–537).

وفي الجدول التالي يوضح فيه إحصائية بشحنات السجناء التي وصلت بالقطار الى معسكر داخاو في المدة من ٢٢ آذار ١٩٣٣ الى كانون الأول ١٩٣٦ (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٦).

سنة ١٩٣٣	عدد السجناء الواصلين للمعسكر	سنة ١٩٣٤	عدد السجناء الواصلين للمعسكر
كانون الثاني	---	كانون الثاني	٢٧٣
شباط	---	شباط	١٩٣
آذار	١٧١	آذار	١٩٨
نيسان	٩٧٨	نيسان	١٧٥
آيار	٨٩٠	آيار	٤١٦
حزيران	٣٩٩	حزيران	١٠٩
تموز	٦٦٢	تموز	١٣٥

آب	٤٦٧	آب	١٠١
أيلول	٣٠٣	أيلول	٧٤
تشرين الأول	٣٧٤	تشرين الأول	٩٧
تشرين الثاني	٣٣٩	تشرين الثاني	٩٠
كانون الأول	٢٣٨	كانون الأول	١١٩
المجموع	٤٨٢١	المجموع	١٩٩٠

وفي الجدول التالي يوضح فيه إحصائيـة بشحنات السجناء التي وصلت بالقطار الى معسكر داخاو في المدة من ٢٢ آذار ١٩٣٣ الى كانون الأول ١٩٣٦ (عوض، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٦).

سنة ١٩٣٥	عدد السجناء الواصلين للمعسكر	سنة ١٩٣٦	عدد السجناء الواصلين للمعسكر
كانون الثاني	١١٧	كانون الثاني	١٦٧
شباط	١٢٠	شباط	١١٦
آذار	١٦٤	آذار	١٨٩
نيسان	١٧٦	نيسان	١٠٨
آيار	١٥٤	آيار	١١٧
حزيران	١٠٩	حزيران	١٢٤
تموز	٢١٢	تموز	٨٠٧
آب	٢٦٣	آب	١٥٧
أيلول	٢٠١	أيلول	٩٢
تشرين الأول	٢٠٨	تشرين الأول	١٦٣
تشرين الثاني	٢٤٢	تشرين الثاني	١٤٤
كانون الأول	١٦٥	كانون الأول	١٢٩
المجموع	٢١١١	المجموع	٢٣٢٣

تعرض المنبوذون اجتماعيًا للاضطهاد، بناءً على أدوات قمعية طورتها الشرطة الألمانية في عهد فايمار ، وقد فرضت السلطات في مراكز الشرطة في بافاريا على جميع أشكال انتهاك المعايير الاجتماعية ، ويكشف جرد السجناء الذين تم وضعهم تحت "الاحتجاز الوقائي" في بافاريا (Megargee, 2009, p. 185)، في نيسان ١٩٣٤ أن نحو ٢٠٠٩ من أصل ٢٥٠٠ شخص كانوا من المعارضين السياسيين، وكان منهم ١٥٣١ شيوعيًا، ومع ذلك، فقد احتُجز بالفعل ٤٤١ شخصًا لأسباب تأديبية اجتماعية مثل إدمان الكحول، أو "التغيب عن العمل" أو "الانطواء"، وحتى اثنان بسبب الصيد الجائر ، ليتم ارسالهم الى معسكر داخاو (Dillon, 2015 , p. 166).

وصل عدد سكان معسكر داخاو في شباط ١٩٣٥، حوالي ٢٣٠٠ سجين يقيمون في تسع ثكنات ، احتل السجناء السياسيون خمس ثكنات منها ، وثكنة واحدة لـ " المنبوذون اجتماعيًا " ، وثكنة أخرى لليهود، وثكنة أصغر للمهاجرين الذين غادروا ألمانيا بعد الاستيلاء النازي على السلطة ولكنهم عادوا (Government, 1945, p. 5).

أبلغت وحدات اس اس الفيلق الملكي البريطاني Royal British Legion في تموز ١٩٣٥، الذي تفقد المعسكر وهي مؤسسة خيرية ، بأن من بين ١٥٠٠ سجين هناك ٩٥٠ سجيناً سياسياً في معسكر داخاو ، وكان هناك أيضاً ٢٤٦ "مجرماً محترفاً"، و١٩٨ "رجلاً كسولاً"، و٢٦ "مجرماً متمرساً"، و٣٨ "منحرفاً أخلاقياً"، و٨٥ يهودياً ، وبعد تفقده للمعسكر، استمتع الوفد على ما يبدو بـ "**عشاء عائلي هادئ**" مع هاينريش هيملر نفسه، اذ أوضح لهم التهديد المتزايد للشيوعية في ألمانيا (Dillon, 2015 , p. 166).

تألف المعسكر من اقسام عديدة أولها القسم السياسي، الذي رأسه ضابط من الجستابو ، يتلقى أوامره مباشرةً من مقر الجستابو في ميونيخ ، ولكنه كان خاضعًا لقائد المعسكر إداريًا، مسؤولًا عن جميع شؤون الاستخبارات، بما في ذلك إعداد قوائم تصنيف السجناء وتعيين الحراس وتحديد ثكنات السجناء وفق اصنافهم (Government, 1945, p. 6).

يوضح الجدول التالي فئات السجناء في معسكر داخاو الذين سجلتهم مؤسسة الفيلق الملكي البريطاني اثناء زيارته الثانية في آب ١٩٣٦ (Dillon, 2015 , p. 167).

فئات السجناء	اعداد السجناء
سجين سياسي	١٢٠٠
مجرم محترف	٢٠٠
اليهود	٤٠٠
المهاجرين	٥٠
شهود يهوا	١٥٠
المثليين	١٥٠
الشيوعيين	٨٥٠٠
متفرقة	ما بين (٥٥٠ – ٦٠٠)

لم تميز وحدات اس اس بين معارضي الحزب النازي ، فقد اعتقل في داخاو اعضاء الأحزاب والنقابات المهنيـة وأصحاب المهن الحرة والأكاديميين الذين أصبحوا هدفا للإرهاب النازي وتقرر إرسالهم إلى مختلف المعسكرات في السنوات اللاحقة، ومن الملاحظ ان اعداد السجناء في داخاو لم تكن عاليـة في السنوات الأربعة الأولى من عمل المعسكر ، وهذا يؤكد بأن تطور المعسكر تحسن تدريجياً وان كانت عمليـة التطور تلك بطيئة ، وهذا ما يتضح لنا من خلال الجداول المرفقة أعلاه .

المبحث الثالث : الادارة والعنف في معسكر داخاو

أظهر هيلمار واكرلي قساوة كبير في ادارة معسكر داخاو، منذ الأيام الأولى لتوليه قيادة المعسكر (Allen, 2002, p. 37)، اذ نادراً ما كان يُرى بدون سوطه وكلبه الضخم، وافتتحت وحدات اس اس حكمها على داخاو بانفجار من العنف، ففي أول يوم لهم في السلطة، ضرب رجال وحدات اس اس الوافدين الجدد، وادخروا أسوأ ما لديهم لليهود، وفي ١٢ نيسان ١٩٣٣ هاجموا ضحاياهم وهم في حالة سُكر داخل الثكنات (Wachsmann, 2015 , p. 44).

قضى معظم السجناء قبل وصولهم الى معسكر داخاو بضعة أيام على الأقل في المعسكر الوقائي، فيما قضى البعض الاخر سنوات عديدة في الحبس الوقائي وتم نقلهم إلى داخاو عند إطلاق سراحهم من السجون والإصلاحيات كجزء من التصحيحات النازيـة للأحكام القانونيـة،

وعلى الرغم من أن الإيذاء البدني في أماكن أخرى من شبكة الاضطهاد النازي كان أقل انتشارًا مما كان عليه في داخاو، إلا أن عدم كفايـة إمدادات الغذاء والضغط النفسي ساهم في ضعف الحالة الجسديـة للسجناء وهم في طريقهم إلى المعسكر، ولا سيما في السنوات الأولى، فقد كان على سجناء الحبس الوقائي أن يواجهوا إساءة معاملة من جانب الشرطة المساعدة التابعة لوحدات اس اي أثناء اعتقالهم ونقلهم إلى المعسكرات (Wachsmann, 2015 , p. 13).

كان السجناء يُساقون في كثير من الأحيان عبر المدن حاملين لوحات إعلانيـة تعلن عن جرائمهم ووجهتهم، وقد كان السجناء الأفراد الأكثر حظًا والمجموعات الصغيرة تحت حراسة رجال الشرطة النظاميين ومسؤولي السجن كونهم لم يتعرضوا عمومًا لسوء المعاملة الجسديـة أثناء الطريق، اما السجناء الذين نقلوا الى المعسكر بواسطة وحدات اس اس فقد تعرضوا بالفعل للعنف والإذلال العلني وتم حشر السجناء في القطارات بوحشيـة وقساوة شديدة، وطوال رحلة القطار التي استمرت إحدى عشرة ساعة إلى ميونيخ، أُجبروا على التحديق بلا رمشة في أضواء العربات، أو في عيون الرجل المقابل (Gellately, 2003 , p. 70).

خدم أفراد وحدات اس اس في داخاو وهم معبأين بروح الانتقام، فلم يأتوا إلى معسكر الاعتقال كرجال عاديين وبوظيفة روتينيـة والتي كانت مهمته الحراسة والتنظيم فقط، بل كانوا مسيسين ولهم صلاحيات واسعة في التعامل مع السجناء (Singer, 2010, p. 536)، وتزامن افتتاح معسكر داخاو في آذار ١٩٣٣، مع العفو الذي صدر على مرتكبي جريمة القتل الوحشيـة وسيئة السمعة التي جرت في قريـة بوتيمبا Potempa في سيليزيا العليا، وقد شجع ذلك الامر وحدات اس اس في داخاو، على ارتكاب الجرائم بدون خوف طالما كانت القيادة السياسيـة تقف الى جانبهم (Dillon, 2015 , p. 40).

لقي الرائد هربرت هنغلينجر Herbert Hunglinger من كتيبة العاصفة وسيباستيان نيفزجر Sebastian Nefzger من وحدات اس اس نهايات مروعة في المعسكر للاشتباه في خيانة القضيـة النازيـة في ميونيخ، وكانت تلك اول عمليـة قتل جرت في المعسكر، وفق مبدأ الخيانة يعاقب عليها بالموت، وكان هناك العديد من الخونة الذين أعدموا بهذه الطريقة، وفي هذا المكان

أيضًا، تدرب أفراد وحدات اس اس في داخاو متأثرين بأساطير الفيالق الحرة (الفرايكوربس) Freikorps (Dillon, 2015 , p. 41).

كان هنغلينجر مع مجموعته من أوائل الواصلين إلى داخاو، وتعرض هؤلاء للضرب المبرح وسرعان ما تمزق الزي البني لرجال قوات العاصفة المعتقلين، وحظي هنغلينجر بمعاملة خاصة، على الرغم من مناداته بـ " الخائن "، سحبه أفراد وحدات اس اس إلى زنزانة الاعتقال رقم ١ في المعسكر، واعترف هنغلينجر اثناء التحقيق معه، بأنه انضم إلى حزب العمال الاشتراكيSocialist Workers Party في عام ١٩٢٠، لكنه انتمى للحزب النازي فور تأسيسه ، وساعد في إدارة مدرسة لقادة النازيين في ميونيخ، ومع ذلك، عندما سيطر النازيون على سجلات الشرطة السياسيـة البافاريـة في عام ١٩٣٣، كشفت هذه السجلات أنه كان مخبرًا، وبعد عدة أيام وليالي من التعذيب والعنف، شنق هنغلينجر نفسه في زنزانته (Dillon, 2015 , p. 41).

ولكن مصير الخونة من صفوف وحدات اس اس كان أشد قوة، فقد تعرض نيفزجر، الذي كان مبتور الساق بعد أن فقدها في الحرب العالميـة الأولى للإعدام ، اذ كشفت التحقيقات معه، بأنه كان ينقل معلومات حساسة عن الحزب النازي في عهد جمهوريـة فايمار إلى الشرطة، وهو عضو في الحزب الشيوعي الألماني، وعلى هذا المنوال تعرض المشتبه بهم للضرب المبرح وأنواع متعددة من التعذيب (Gellately, 2003 , p. 70).

اعتمد رجال وحدات اس اس أساليب مختلفة في التعذيب والتي تسببت بقتلهم جراء الخنق أو النزيف الداخلي نتيجة الضرب المبرح وبأدوات جارحة، إن العنف والقتل ضد الخونة الداخليين هو آليـة شائعة للتماسك والتطرف في منهجيـة وحدات اس اس (Blatman, 2011, p. 22)، وقد عمل بنفس المبدأ خلال **"ليلة السكاكين الطويلة"** في حزيران ١٩٣٤، عندما أعدم ضباط كبار من قوات العاصفة من قبل وحدات اس اس في داخاو لتورطهم في **"مؤامرة روم** " المزعومة، وقد كان العنف المبكر في داخاو متأثراً إلى حد كبير بالسياق الذي اتبعته الدولة النازيـة، فقد كانت كل

جريمة قتل متعمدة، هي في حد ذاتها شكلاً من أشكال العنف اليومي الذي يمارس في معسكر داخاو (Allen, 2002, p. 38).

اشارت وثائق وحدات اس اس إلى أن نشطاء الحزب النازي العاطلين عن العمل أصبحوا جنوداً محترفين من قوات النخبة في وحدات اس اس في معسكر داخاو، فكانوا يقفون في مواجهة العدو من الداخل ويستعدون للانتشار ضد الأعداء من الخارج، وكانت اللوائح التفصيلية تحكم كل تصرفاتهم، وحل الانضباط العسكري محل العنف الفوضوي الذي ساد في السنوات الأولى للمعسكر، ومنعت قوات النخبة التي اطلقت عليها في عام ١٩٣٥ تسمية "**رأس الموت**" من دخول مجمع السجناء والتفاعل مع السجناء، ناهيك عن إساءة معاملتهم، فقد كان الفوهرر وحده هو الذي يقرر "**حياة وموت عدو الدولة**" (Dillon, 2015 , p. 49).

لكن الواقع كان مختلفاً تماماً بطبيعة الحال، فلم تتمتع قوات رأس الموت إلا بمكانة متواضعة، حتى داخل وحدات اس اس، وظلت العديد من المبادئ والروايات التي تبنتها وحدات اس اس في داخاو في مراحلها المبكرة كما هي، وظل العنف التعسفي هو النظام السائد، وعاش السجناء في خوف يومي من تصرفات وخداع وحدات الحراسة والأفراد، ولقد كان من بين هؤلاء الذين رأوا أن الإساءة إلى السجناء هي وسيلة للهروب من الملل الذي يلازم واجب الحراسة، فضلاً عن كونها طريقة للظهور بمظهر المدافع عن بلاده من أعداء الدولة (Dillon, 2015 , p. 50).

عززت اللوائح التي وضعها آيكة بعدم الاختلاط بالسجناء وعدم الاكتراث بهم، وغرس بذور الكراهية مع تحذير الحراس بتوخي الحذر والانتباه إلى "**التوسلات الخبيثة والمنافقة** " من جانب السجناء، وبدورهم فقد حاول السجين تحسين وضعه وجعل ظروف حياته أكثر احتمالاً ، من خلال الالتزام بما نصت عليه لوائح المعسكر، ومن بينها عدم رؤية سوء معاملة وحدات اس اس لزملائهم السجناء، فقد كان هذا أمرًا محفوفًا بالمخاطر، حتى لا يكون السجين الاخر شاهدًا محتملاً، فعلى الرغم من كل الإرهاب التعسفي في داخاو، لم يكن حراسه غير مدركين تمامًا لإمكانية قيام السجناء المفرج عنهم بنشر ما تعرضوا داخل المعسكر (Allen, 2002, pp. 39–40).

انحصرت الوظيفة الأساسيـة لوحدات اس اس في معسكر داخاو في عزل وإخضاع ومعاقبة نزلاء المعسكر، وتراوحت طرق التعذيب من المضايقة اللفظيـة إلى العنف الجسدي ، اما الموت فقد ظل في فترة ما قبل الحرب استثناءً، لكنه كان موجودًا بشكل كافٍ لإبقاء السجناء في حالة من القلق المزمن ، باختصار فأن حقيقة وجود السجين في المعسكر كانت تعد سببًا كافيًا لضربه وتعذيبه ، ومن المعتاد أن يتواصل افراد وحدات اس اس في المعسكر مع النزلاء من خلال الصراخ وتقليل قيمتهم واهانتهم بشكل مستمر (Wachsmann, 2015 , p. 44).

عمدت وحدات اس اس الى تنظيم هؤلاء السجناء في مجموعات وكانوا يعيشون تحت مراقبة مستمرة، مما يضمن أن أي مخالفة للقواعد قد تؤدي بدورها الى جلب خطر العقوبات الجسديـة بحق السجناء، والتي يمكن أن تتفاقم بسرعة خارج نطاق السيطرة مما يؤدي الى قتل السجين، وهنا قد يُفسَّر أي فعل واعي أو غريزي للدفاع عن النفس من جانب السجين باعتباره رفضاً للاعتراف بالجريمة الأوليـة وتحدياً متعمداً لسلطة الجاني، وبالتالي سلطة الدولة المتمثلة بالنظام النازي، وهذا من شأنه أن يفرض العنف الجسدي المروع بحق الضحيـة، في الوقت الذي تمتع فيه الحراس بحق غير مقيد في التصرف بنزواتهم وكانوا يتلقون التعليمات باستخدام بنادقهم في حالة وجود أدنى مقاومة (Gellately, 2003 , p. 70).

انتشرت ثقافة العنف في معسكر داخاو بشكل كبير، وأصبحت اكثر تطرفاً مع مرور الوقت ، وفي البدايـة، كان الخلل في توازن القوة المكانيـة بين السجان والسجين واضحاً، وأدى اختلال التوازن في القوة المكانيـة إلى خلق حلقة مفرغة من الحراس المستبدين والسجناء الخاضعين واللامبالين، وفيما يتصل بوضع السجناء ، فقد كان زيهم الرسمي، الذي ارتدوه جلباباً، بدون بنطلون أو ملابس داخليـة، مصمماً من قبل القائمين على التجربة للتعبير عن الإذلال، وكانوا يرتدون قباقيب مطاطيـة بسلسلة ثقيلة مقفلة حول أحد كاحليهم، مما يجعل تحركاتهم غير مريحة، وكانت أغطيـة الرأس النسائيـة المصنوعة من النايلون مغطاة بغطاء رأس (Dillon, 2015 , p. 138).

وضع السجناء تحت المراقبة المستمرة، ومُنعوا من التحدث أثناء الواجبات وفي ساحة التمارين، وأُجبروا على مخاطبة بعضهم البعض بالأرقام، وليس بالأسماء، في زنازينهم، وليس من المستغرب أن يشعروا بالإهانة والإذلال مع انغماسهم في بيئة المعسكر ، وبهذا المعنى أصبح سجين معسكر داخاو يجسد الأمراض السياسية والاجتماعية والعرقية التي ابتلي بها النظام النازي وعكسها على اعدائه من سجناء داخاو ، باعتبارهم خطراً على المجتمع الألماني والحراس على حد سواء ، والواقع أنه مثل معسكرات الاعتقال نفسها، كان سجين معسكر داخاو رمزاً للوجود المستمر لتلك الأمراض ذاتها (Wachsmann, 2015 , p. 45).

وهكذا في إشارة إلى التناسب الذي يميز الاضطهاد النازي، فإن إعلان الأحكام العرفية في معسكر داخاو كان ينبع من الطبيعة الخطيرة لنزلائه، وكانت لوائح القائد آيكه الصادرة في ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣ اظهرت السجناء كأعداء" **ماكرين وغادرين ، وقبل كل شيء أعداء متعصبين لكل ما هو ألماني، مدينين بشدة للماركسية أو الليبرالية ، ومحرضين عديمي الضمير، ومتآمرين متعصبين ومتمردين**"، وقد تم تحذيرهم من أن أي خروج عن الخط المرسوم لهم فأنهم يعرضون حياتهم للخطر، مما أدى الى ضرورة بقاء عنصر وحدات اس اس متيقضاً وحذراً لحراسة "**الأشرار والمجرمين**" (Gellately, 2003 , p. 70).

على هذا الأساس زودت أبراج حراسة معسكر داخاو بمدافع رشاشة، بحيث يمكن سحق كل محاولة تمرد جماعي، لهذا فأن غالبية السجناء كانوا رجالاً غير مؤذيين ومسالمين خشية التعذيب او القتل في بعض الأحيان، وتعززت كراهية الحراس في داخاو تجاه السجناء، لا سيما بعد ان اعلن هيملر في عام ١٩٣٦، بان وحدات اس اس هم القوة الرئيسة لحماية الدولة الذي يدافع عن الجسم العرقي الألماني ضد سموم كل السلالات السياسية والاجتماعية والعرقية، ومع هذا التوجه الجوهري والبيولوجيا المتزايد، أصبحت مصطلحات "**أعداء الدولة**" و"**المجرمين**" قابلة للتبادل مع مصطلحات "السجناء" في داخاو (Wachsmann, 2015 , p. 93).

وفي الجدول التالي يوضح اعداد الوفيات التي سجلت في معسكر داخاو بين عامي ١٩٣٣ – ١٩٣٦ (Caplan & Wachsmann , 2009, pp. 21-24).

السنة	عدد الوفيات
١٩٣٣	٢٢
١٩٣٤	١٧
١٩٣٥	١٢
١٩٣٦	١١
المجموع الكلي	٦٢

استخدم حراس معسكر داخاو أساليب مختلفة للتعذيب، من اجل السيطرة عليهم وفق الكراهية الكامنة في نفوس وحدات اس اس التي عبأت بشكل ممنهج ومدروس، حتى يصير هؤلاء المعتقلين في نظرهم أعداء الدولة والشعب ولا يستحقون العيش، وبالتالي فأن التعذيب والاهانة والتقليل من الشأن لم يميز فئة دون فئة أخرى، ان تراوحت طبيعة التعذيب بين فئات السجناء المختلفة .

المبحث الرابع: معاملة السجناء اليهود

لخصت العناصر الأساسية للأيديولوجية النازية بعدد من العوامل وهي : كراهية الشيوعية واليهود والديمقراطية، والاقتناع بأن الأمة الألمانية متفوقة على جميع الأمم الأخرى، وفي محاولتهم لإنشاء مجتمع **"نقي عرقياً"**، خطط النازيون لإبادة اليهود، فضلاً عن السلاف والغجر وغيرهم، وفي تشرين الثاني ١٩٣٣، لخص أدولف هتلر، زعيم الرايخ الثالث أهداف إقامة الحكم النازي على النحو التالي: " **في حالتنا، الأمر لا يتعلق بقهر الناس، بل يتعلق فقط بالحصول على مجتمع نقي من أي شائبة** " (Jacob, 2019, p. 3).

اتبعت قيادة وحدات اس اس نظاماً صارماً تجاه افرادها ، فقد كان الامتثال العسكري للمهام التي وقعت على عاتقهم جزءاً من العقيدة العسكرية وفق الايدولوجية النازية ، وهم بهذا يختلفون في عملهم وولائهم عن الجنود الالمان في الفيرماخت، فبينما كان لدى أفراد الفيرماخت واجب

قانوني تجاه الدولة بطاعة الأوامر بقدر ما يمتثلون للقانون، كان رجال وحدات اس اس ببساطة أقسموا بالولاء السياسي الطوعي لهتلر، وتعهدوا "**بالطاعة حتى الموت لهتلر**" ولكن هذا كان قسمًا شبه عسكري ولم يكن له وضع قانوني (Caplan & Wachsmann , 2009, p. 113).

من هذا المنظور، عاملت وحدات اس اس السجناء اليهود بشكل مختلف، فقد مورست ضدهم ابشع أنواع التعذيب، فقد كان أربعة عشر من ضحايا القتل الاثنين والعشرين في داخاو في عام ١٩٣٣ هم من اليهود، في حين شكل اليهود أقل من ١٠% من نسبة السجناء في المعسكر، ورغم أنهم لم يُسجَنوا باعتبارهم يهوداً، بل لأنهم شيوعيون ومع ذلك فإن كونهم يهوداً جعلهم عُرضة بشدة للعنف المميت في المعسكر (Wünschmann, 2015, p. 6).

تعرض اليهود الموزعون بين فئات السجناء المختلفة لقسوة خاصة، فقد أضيف إلى المثلث الأصفر المقلوب الذي كان أول مثلث يرمز إلى نجمة داود، وذلك لتحديد هوياتهم، وفي تموز ١٩٣٦، كان عدد اليهود المعتقلين في معسكرات الاعتقال حوالي ٦١٦٦ رجلاً، وبعد أربعة أشهر، تزايد هذا العدد بشكل كبير مع وصول نحو ١٠ آلاف يهودي، وقد نال معسكر داخاو حصة الأسد من بين المعتقلين اليهود ولم يعد المعسكر قادراً على استيعاب المزيد، ولكن الوضع تدارك مؤقتاً برحيل بعض اليهود الذين وافقوا على الهجرة تحت التهديد بطردهم أو نقلهم إلى معسكر بوخنفالد Buchenwald (Zeller, 2015, p. 16).

نشأت أولى جرائم القتل الحاسمة التي ارتكبتها وحدات اس اس في معسكر داخاو، والتي كانت محصورة في إطار صور الحرب الأهليـة والعدالة الثوريـة، ففي ١٢ نيسان ١٩٣٣ ، فبعد اقل من شهر فقط من استيلاء وحدات اس اس على معسكر داخاو ، أُطلِق الرصاص على إرفين كاهن Erwin Kahn وثلاثة سجناء يهود آخرين، وهم كل من : إرنست جولدمان Ernst Goldmann ، وورودولف بيناريو Rudolf Benario ، وآرثر كاهن Arthur Kahn ، في الغابات القريبة من المعسكر، بزعم محاولتهم الفرار من المعسكر (Wachsmann, 2015 , p. 44).

نجا إروين كاهن من الموت، ونقل إلى مستشفى شوابينغ، حيث أخبر الطاقم الطبي بالحادثة قبل أن يستسلم لجراحه، ومن بين الجوانب الأكثر إرباكاً وغرابة في هذه الجرائم هو السبب الذي يجعل وحدات اس اس تحاول قتل سجين تم إرساله إلى المستشفى للعلاج، كونه شاهداً على المذبحة المتعمدة لثلاثة من زملائه السجناء، والذين تم قتلهم بوحشية ، ومع ذلك أصيب كاهن برصاصتين في الرأس بينما كان راقداً في المستشفى بعد بضعة أيام ، واعتقد موظفو المستشفى في البداية أنه يتعافى، ولكنهم ادركوا بأنه قُتل على يد الحراس المتمركزين بجوار سريره لمنع استجوابه من قبل القضاء الألماني (Wachsmann, 2015 , p. 45).

لم يتضح بعد سبب وقوع جرائم القتل، ولم يكن أي من الرجال الأربعة من الشيوعيين البارزين ، ولكن بلا شك أن وضعهم العنصري كونهم يهود أدى إلى تضخيم صدى اعتبارهم أعداء للنازية في وقت كانت فيه المشاعر المعادية للسامية مرتفعة بين جنود وحدات اس اس، فضلاً عن انتماء هؤلاء الى الميليشيات الشيوعية شبه العسكرية والتي كانت متورطة في كثير من الأحيان في مناوشات عنيفة مع الشرطة ابان عهد جمهورية فايمار، مما جعل بعض افراد الشرطة الألمانية الذين انضموا فيما بعد الى الوحدات العسكرية النازية ناقمين وحاقدين على هؤلاء لا سيما اليهود منهم (Blatman, 2011, p. 23).

وفي الجدول ادناه يوضح لنا الفئات العمرية للسجناء اليهود في معسكر داخاو في عام ١٩٣٣ (Wünschmann, 2015, p. 71).

سنة الولادة	عدد السجناء
المولودين قبل عام ١٨٧٠	٣
المولودين بين عامي ١٨٧١ – ١٨٨٠	٥
المولودين بين عامي ١٨٨١ – ١٨٩٠	١٣
المولودين بين عامي ١٨٩١ – ١٩٠٠	٢٨
المولودين بين عامي ١٩٠١ – ١٩١٠	٣٨
المولودين بعد عام ١٩١٠	٥
غير معروف	٢٠

واجه السجناء اليهود، سواء كانوا بارزين أم لا، إساءة المعاملة من قبل القوات النازيـة شبه العسكريـة، التي اعتنقت مبادئ النازيـة المعاديـة للساميـة، اذ لم يُنظر إلى اليهود على أنهم أعداء سياسيون مميتين فحسب، بل وُصِموا أيضًا بأنهم تهديدات عنصريـة، ومستغلون رأسماليون، ومثقفون كسالى، وعندما وصل السجناء الجدد إلى معسكر داخاو ، كان الحراس يأمرون اليهود غالبًا بالتعريف بأنفسهم ، صرخ رجل شاب من وحدات اس اس في داخاو في الوافدين الجدد في ٢٥ نيسان ١٩٣٣: "**هل يوجد أي يهود بينكم**"، ومع عدم تقديم علامات خارجيـة لتحديد مجموعات السجناء بعد، أصبحت مثل هذه الأوامر الشفهيـة لليهود للتقدم أمرًا روتينيًا (Wachsmann, 2015 , p. 36).

أخفى بعض السجناء اليهود أصولهم، لكن هذا كان محفوفًا بالمخاطر في داخاو، فقد اتخذت الإساءة المعاديـة للساميـة أشكالًا عديدة، ومثل غيرهم من المعذبين، أشرف الحراس النازيون على أعمال الإذلال والاهانة المنهجيـة وكانت الضربات مصحوبة بإهانات دنيئة، فعلى سبيل المثال ، عمدت وحدات اس اس حلق رأس سجين يهودي ورسموا على رأسه الصليب ، شوه رجال وحدات اس اس لحيـة احد السجناء اليهود والذي يدعى إريك موهسام Eric Mohsam لجعله يشبه الرسوم الكاريكاتوريـة النازيـة التي عرفوها جيداً، وكثيراً ما كان السجناء اليهود يُجبَرون على القيام بأعمال شاقة ومثيرة للاشمئزاز بشكل خاص (Wachsmann, 2015 , p. 36).

وفي حادثة أخرى، تم إحضار اليهودي هوغو بوركارد إلى داخاو في حزيران ١٩٣٣، بتهمة "**مغتصبًا للفتيات الآريات**"، وتم اقتياده لدى وصوله من قبل الحراس، وركله ولكمه وضربه بالسوط قبل أن يتم نقله إلى عيادة السجناء من قبل زملائه السجناء للتعافي، عندما أفاق في صباح اليوم التالي، أصيب بوركارد بالرعب لرؤيـة الحراس وهم يتهيأون مرة أخرى لتعذيبه، وعلى حد قوله : **عندما استفقت وجدت احد الحراس يقف فوقي وهو ضخم الجثة ، لقد حدق فيّ فقط، دون أن يقول كلمة واحدة؛ هذه المرة احتفظت بنظرة صارمة ونظرت مباشرة في عينيه ، وبعد ذلك لم اشعر بشيء بسبب الضرب المبرح** " ليفقد الوعي مرة أخرى (Dillon, 2015 , p. 156).

من ناحيـة أخرى، حرم اليهود من الملابس التي وزعت للسجناء، والاشياء المتعلقة بالطعام (الشوكة والسكين والملعقة) والتي كانت توزع مجاناً لبقيـة السجناء، وكان على اليهود شراءها على نفقتهم الخاصة، ومن بين اليهود، كان أولئك الذين لديهم المزيد من المال يشترون الملابس لأولئك الذين ليس لديهم أي شيء، وخلال الأيام الباردة في الشتاء والعواصف الثلجيـة، ولحمايـة أنفسهم من البرد، اعتاد اليهود على وضع الصحف في أحذيتهم، وخياطة أكياساً من الأسمنت الفارغة بأيديهم، لارتدائها تحت معاطفهم الباليـة، على الرغم من كون ذلك محظوراً وكان العقاب الشديد ينتظر من يتم القبض عليهم (Neurath, 2005 , p. 52).

تعرض السجناء اليهود للأذلال بشكل منهجي اكثر من غيرهم من فئات السجناء في داخاو، فقد عمد النازيون الى استخدام مختلف الاساليب في معسكر داخاو من أجل كسر روحهم المعنويـة واذلالهم (Allen, 2002, p. 73)، ومن الأمثلة المثيرة للاهتمام والقويـة على هذا النوع من التأكيد على الذات، الكشف عن نصب تذكاري للبطل النازي ألبرت ليو شلاجيتر Albert Leo Schlageter في المعسكر في كانون الاول ١٩٣٣ في الذكرى العاشرة لإعدامه على يد القوات الفرنسيـة، فقد اجتمع المعسكر بأكمله، بما في ذلك السجناء وأفراد وحدات اس اس، لأحياء ذكرى شلاجيتر (Dillon, 2015 , p. 158).

اصدر قائد المعسكر أوامره بأن يقوم السجناء اليهود بتحضير جميع الأشياء المتعلقة للتجهيز لأحياء ذكرى شلاجيتر في محاولة منه لإخراج أقصى قدر من الإذلال للسجناء من الحفل، وقام المحامي اليهودي والسجين الدكتور ألبرت روزنفيلدر Albert Rosenfelder بإلقاء كلمة التأبين لشلاجيتر، واستغل روزنفيلدر مهارته عندما قدم تأملاً مؤثراً حول فضائل الرفقة والتعاون والود المتبادل ، وقد استخدم روزنفيلدر هنا بشكل لا تشوبه شائبة وشجاعة وضعًا اجتماعيًا وثقافيًا ملائمًا، فمن أجل الحفاظ على الجديـة العسكريـة لهذه المناسبة، اضطرت وحدات اس اس في داخاو إلى تحمل أدائه في صمت (Dillon, 2015 , p. 158).

وما كان يُحتَجَز باعتباره عقوبة قاسيـة وغير عاديـة لغير اليهود الأفراد ـ ومعظمهم من السجناء السياسيين البارزين ـ أصبح أمراً طبيعياً بالنسبة لليهود، الذين وجدوا أنفسهم في أسفل

التسلسل الهرمي للسجناء، على سبيل المثال، تم تعيين إرنست هيلمان فور وصوله الى داخاو "**مسؤولا عن المراحيض**" ، ووضعته مسؤولاً عن مجموعة من اليهود الذين كان عليهم تنظيف المراحيض –أحيانًا بأيديهم العاريـة – التي يستخدمها ما يقرب من ألف سجين (Wachsmann, 2015 , p. 36).

يتضح من خلال ما تقدم، بأن عمليات الاضطهاد التي جرت ضد اليهود في تلك المدة المبكرة كانت مدفوعة بأيديولوجية نازيـة، التي بُنيت على معاداة الساميـة، والامر الذي انعكس على وحدات اس اس العاملين في معسكرات الاعتقال، مما أدى الى حدوث انتهاكات عديدة ضد السجناء اليهود، وان كانت نسبيـة الى حد ما، لكون معسكر داخاو في بدايات عمله ولم يشهد تطوراً في هذا المجال.

الخاتمة

١. شكّل معسكر داخاو منعطفًا خطيرًا في التاريخ الألماني المعاصر، إذ مثّل البداية الفعلية لما سيعرف لاحقًا بمنظومة معسكرات الاعتقال النازية، وقد أسس هذا المعسكر بنية وظيفية قائمة على الإقصاء الجسدي والمعنوي لكل من عارض النظام أو شكّل تهديدًا أيديولوجيًا له، ولا سيما في سنواته الأولى، بين ١٩٣٣ و١٩٣٦، وهي السنوات التي شهدت الترسيم التنظيمي والتجريبي لأدوات القمع والإبادة التي ستبلغ ذروتها لاحقًا في سياق الحرب العالمية الثانية.

٢. أظهرت الدراسة أن الهدف الأساسي من إنشاء معسكر داكاو ، لم يكن أمنيًا بقدر ما كان سياسيًا وأيديولوجيًا، إذ سعت السلطات النازية ، بقيادة هاينريش هيملر، إلى خلق نموذج يُرهب الخصوم ويوجه رسالة قاطعة مفادها أن الدولة النازية الجديدة لا تتسامح مع المعارضة مهما كانت طبيعتها. وقد جاءت البنية المكانية والتنظيمية للمعسكر منسجمة مع هذه الغاية، سواء من حيث موقعه الجغرافي المعزول أو من حيث الإدارة الحديدية التي تولتها وحدات اس اس النازية ، والتي أسندت لها صلاحيات شبه مطلقة.

٣. تبين من خلال تتبع أوضاع السجناء، وتصنيفهم بحسب انتماءاتهم السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، أن معسكر داخاو مثّل مختبرًا عمليًا لمفهوم "الدولة الشمولية"، إذ لم يقتصر على

العقاب أو الاحتجاز، بل سعى إلى إعادة تشكيل الفرد قسرًا، وتحويله إلى كائن خاضع مهان، محروم من أدنى حقوقه. كما كشفت الدراسة أن التنوع في فئات السجناء أسهم في تعقيد البنية الداخلية للمعسكر وأنتج تفاوتًا في المعاملة، كان اليهود في أدناها، سواء على مستوى العنف أو الإذلال أو التمييز المنهجي.

٤. لا يمكن إغفال الدور المحوري الذي لعبه ثيودور آيكه، بوصفه المؤسس الحقيقي للنظام الداخلي لمعسكرات الاعتقال النازية، بدءًا من داخاو، فقد وضع نظمًا صارمة للحراسة والانضباط، وغرس في وحدات SS عقيدة عدائية ضد السجناء، تجعل من العنف خيارًا طبيعيًا، بل وضروريًا. ويُستنتج من ذلك أن مسألة التنظيم لم تكن مجرد إجراء إداري بل أداة وظيفية لتعميق القمع، والتأسيس لمنظومة مؤسسية قوامها العنف، والاستعباد، والتطهير العرقي.

٥. يثبت معسكر داخاو، عبر هذه الدراسة، أنه لم يكن مجرد منشأة أمنية عابرة ، بل هو حجر الأساس في مشروع الإبادة النازي الذي انتهج بعد عام ١٩٣٣ ، ومختبر مبكر لتجريب أدوات السيطرة والعنف، الذي سيتحول لاحقًا إلى سياسة ممنهجة. وقد أظهرت سنوات التأسيس الثلاث الأولى حجم التحول الذي شهده المعسكر من مركز اعتقال سياسي إلى مؤسسة أيديولوجية قائمة على إعادة تعريف "المواطن الصالح" وفق مفاهيم نازية، مما يجعل من داخاو شهادة دامغة على التحولات القمعية التي خضعت لها ألمانيا منذ عام ١٩٣٣.

المصادر

١. رمسيس عوض. (٢٠٠٨). داكاو : اشهر معسكرات الاعتقال النازية. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، المجلس الأعلى للثقافة.

٢. محمد السيد سليم. (٢٠٠٢). تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين. القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع.

٣. نورس ماجد حسين. (٢٠٢٢). معسكرات الاعتقال النازية ١٩٣٣-١٩٤٥: دراسة في بنيتها واهدافها الاقتصادية، معسكرات الاعتقال النازية ١٩٣٣-١٩٤٥: دراسة في بنيتها واهدافها الاقتصادية: أطروحة دكتوراه غير منشورة. بغداد: كلية التربية – الجامعة المستنصرية.

٤.وليام شيرر. (١٩٦٦). تاريخ المانيا الهتلرية (نشأة وسقوط الرايخ الثالث) ، ترجمة خيري حماد. بيروت : دار الكتاب العربي للطباعة .

5.Allen, M. T. (2002). The Business of Genocide: The SS, Slave Labor, and the Concentration Camps. London: The University of North Carolina Press Chapel Hill.

6.Blatman, D. (2011). The Death Marches: The Final Phase of Nazi Genocide, Translated from the Hebrew by Chaya Galai. New York: Originally published as Les Marches de la mort.

7.Caplan, J., & Wachsmann , N. (2009). Concentration Camps in Nazi Germany. London: This edition published in the Taylor & Francis e-Library.

8.Dillon, C. (2015). Dachau and the SS : A Schooling in Violence. Oxford : Oxford University Press.

9.Gellately, R. (2003). The Specter of Genocide: Mass Murder in Historical Perspective. Cambridge : Cambridge University Press.

10. Government, G. M. (1945). Dachau Concentration Camp Trial: The Trial of Martin Gottfried Weiss and Thirty-Nine Others. Nuremberg: Case No. 60, 15Th November -13Th December, 1945.

11. Jacob, H. (2019). Auschwitz-Birkenau Past and Present. Stuttgart : University of Stuttgart Press.

12. Jaskot, P. B. (2000). The Architecture of Oppression The SS, forced labor and the Nazi monumental building economy. New York: Routledge is an imprint of the Taylor & Francis Group.

13. Megargee, G. P. (2009). The United States Holocaust Memorial Museum Encyclopedia of Camps and Ghettos 1933-1945. Indiana : Indiana University Press.

14. Neurath, P. M. (2005). The Society of Terror Inside the Dachau and Buchenwald Concentration Camps. New York: Routledge is an imprint of the Taylor & Francis Group.

15. Pitzer, A. (2017). One Long Night: A Global History of Concentration Camps. New York: Little, Brown and Company.

16. Ripley, T. (2004). Hitler's Praetorians: The History of the Waffen-SS 1925-1945. New York: The Brown Reference Group.

17. Singer, D. J. (2010). Well Meet Again in Dachau : The Early Dachau SS and the Narrative of Civil War. New York: Journal of Contemporary History Copyright , Vol. 45, No. 3.
18. Wachsmann, N. D. (2015). KL: A History of the Nazi Concentration Camps, Farrar. New York: Straus and Giroux Publisher.
19. Wünschmann, K. (2015). Before Auschwitz: Jewish Prisoners in the Prewar Concentration Camps. Harvard : Harvard University Press.
20. Zeller, G. (2015). The Priest Barracks: Dachau 1938-1945, Translated by Michael J. Miller. Ignatius : Ignatius Press Publisher.